المحاضرة (١٠)

بدايات التغلغل الاستعماري في اسيا

من الطبيعي ان تكون بلاد اسيا الشاسعة ذات الخيرات الوافرة محط اطماع المستعمرين على مختلف اجناسهم واشكالهم. وكان البرتغاليون هم السباقون في ذلك، ففي بداية القرن السادس عشر سيطر البرتغاليون على طريق التجارة بين الهند والصين، واسسوا أول مركز تجاري لهم في الصين قرب مدينة (كانتون) عام ١٥١٥، كما استولى البرتغاليون على جزيرة صينية بالقرب من هذه المدينة ايضا، وفي عام ١٥٥٧ سمح للبرتغاليين بأستئجار بعض الاراضي في منطقة (مكاو) الصينية، التي اتخذوها قاعدة لهم ينطلقون منها للتدخل في شؤون الصين.

واسس البرتغاليون مراكز تجارية في الهند بعد اكتشافهم الطريق الموصل اليها. وخضعت بعض الجزر الاندنوسية للمستعمرين البرتغاليين منذ عهد الاستكشافات الجغرافية، حيث استولى البرتغاليون على جزيرتي (مالقا) و(ملوكو) عام ١٤٨٩.

كما اهتم البرتغاليون بمنطقة الهند الصينية، وهي منطقة تقع في جنوب شرق آسيا، وتُستخدم كلمة الهند الصّينية للإشارة إلى ثلاث دولٍ تقع جنوب شرق آسيا وهي؛ لاوس، وكمبوديا، وفيتنام، وسُمِّيت بالهند الصّينيّة لتأثّر بعض دولها بالهند التي تحدُّها من جهة الشّرق، والأُخرى بالصّين التي تقع إلى الجنوب منها؛ وقد أُطلق هذا اللقب على تلك الدّول في فترة الاستعمار الفرنسيّ، كما يُستخدم هذا المُصطلح في مجال الجغرافيا أيضاً، وهناك استخدامٌ أوسع لمصطلح الهند الصينيّة للإشارة إلى عددٍ أكثر من الدول، وهي بالإضافة إلى الدّول الثّلاث السّابق ذكرها؛ تايلند أو سيام، وسنغافورة. وبخاصة فيتنام، نظرا لما تحويه من ثروات وتوابل وحرير وذهب.

ففي عام "١٥٣٥" وصل الرحالة البرتغالي لودفيكو دي فارتيما أو فارثيما Lodvica Di Var Thema وهو رحالة إيطالي كان يعمل لحساب البرتغال وقام برحلة حول العالم (١٥٠٣– ١٥٠٨) وصل فيها الى الهند وشرق اسيا ويعتقد بأنه أول أوربي غير مسلم زار مكة والمدينة وسمى نفسه «الحاج يونس المصري»، باسطوله الى ميناء (هاي مونك) الفيتنامي، واعقبته زيارات منتظمة قامت بها السفن البرتغالية للموانىء الفيتنامية واقاموا معها نشاطات تجارية مربحة في التوابل والحرير والذهب.

ولقد اثار النشاط الاستعماري البرتغالي في اسيا اهتمام الدول الاوروبية الاستعمارية الاخرى التي اخذت تغزو المنطقة وتدخل في صراع وتنافس فيما بينها من اجل الهيمنة والاستحواذ على مقدرات بلاد اسيا واستغلالها.

ففي بداية القرن السابع عشر وصل الهولنديون الى منطقة جنوب شرق اسيا لمنافسة البرتغاليين في احتكارهم للتجارة هناك في ساحل الصين الشرقي. كما استطاع الهولنديون ازاحة البرتغاليين من مناطق الهند منذ نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، واسسوا وكالة تجارية كبيرة في ميناء هاي مونك الفيتنامي في مطلع القرن السابع عشر، ومؤسسة اخرى في هانوي عام ١٦٣٧ التي استمرت في نشاطاتها حتى عام ١٧٠٠. وفي عام ١٥١٥ جابت السفن الهولندية جزر الهند وفي السنة التالية زارت السفن الهولندية جزر سومطرة وجاوة وبالي اعقبتها جملة ثانية مؤلفة من ثمان سفن.

اما الفرنسيون والبريطانيون فقد اخذوا يسعون منذ بداية القرن السابع عشر لمد نفوذهما الى مناطق اسيا وخاصة في الهند والصين والهند الصينية بواسطة البعثات التجارية التي كانت تزور الموانىء الاسيوية المختلفة والتي استطاعت ان تؤسس مراكز تجارية لها في الصين والهند وجنوب شرق اسيا.

فقد قامت شركة الهند الشرقية الفرنسية بتأسيس مراكز تجارية لها في الهند عام ١٦٦٨، و١٦٧٢، في مدن (سراب وكلكتا ومدراس). وقامت شركة الهند الشرقية البريطانية بتأسيس مراكز تجارية لها في الهند عام ١٦٨٩ في مدن (كلكتا وبومباي ومدراس). كما قامت بتأسيس وكالات تجارية لها في هانوي بفيتنام عام ١٦٧٣.

وقد رافق التغلغل الاستعماري التجاري نشاط البعثات الدينية التبشيرية التي نفذت الى داخل الصين والهند وجنوب شرق اسيا، ففي عام ١٦٢٦ زار فيتنام المبشر اليسوعي ومصمم المعجم الذي كان له تأثير دائم على المسيحية في فيتنام، الكسندر دي رودس Alexandre de Rhodes, S.J. (١٥٩١- ١٦٦٠) وهو احد القسس "اليسوعيين" الجزويت – **الجزويت فرقة كاثوليكية يسوعية انتشرت في أوروبا بصفة عامة وفي البرتغال وأسبانيا وفرنسا بصفة خاصة وهي واحدة من أهم الرهبنيات الفاعلة في الكنيسة الكاثوليكية ومن أكبرها تأسست على يد القديس إغناطيوس دي لويولا في ١٥ أب ١٥٣٤ أيام البابا بولس الثالث في إسبانيا كجزء من الإصلاح المضاد وقد ساهمت في القضاء على المسلمين في الأندلس من خلال محاكم التفتيش وأخذت على عاتقها مهمة التبشير ونشر الديانة في العالم الجديد** – وقام بتأسيس ارساليات جزويتية تضم قساوسة برتغاليين واسبان في كل مكان زاره، ثم ما لبث المبشرون الفرنسيون ان الحقوا بهم، ولكي يتمكن المبشرون من تسهيل نشر عقائدهم الدينية لاغراض سياسية عمدوا الى كتابة اللغات الاسيوية بالحروف اللاتينية بدلاً من الحروف الصينية.

وقد اثار نشاط البعثات التبشيرية هذه حفيظة الحكام المحليين الاسيويين الذين ادركوا ان الاعمال التبشيرية ما هي الا مقدمة للتدخل العسكري للاستعمار الاوروبي. وعلى هذا الاساس زاد العداء للبعثات التبشيرية التي اضطرت ابتداءً من عام ١٧٥٠

للرجوع الى بلادها او الاختفاء والتستر ولم يبق منها الا عدد صغير في بعض البلدان الاسيوية.

مدرس المادة

أ. م. د عمار خالد رمضان